Issn:2572-0023

المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في الجزائر المظاهر والانعكاس

أ/سفيان لوصيف

جامعة لمين دباغين-سطيف02-

الملخص العربية:

يتناول المقال بالدراسة والتحليل مقاومة الجزائريين لثقافة المحتل الفرنسي منذ سنة 1830، ففي إطار مشروع الفرنسة الشامل للجزائر الذي سطره الفرنسيون، والذي يتضمن محاربة الدين الإسلامي والتاريخ الجزائري، وفصل الجزائر عن انتمائها العربي الإسلامي، جابه الجزائريون هذا المشروع بشتى الطرق والأساليب، بدءا بالتمسك بثقافتهم العربية الإسلامية التي تدرس في الزوايا والمساجد، ومقاطعة المدارس الفرنسية لعقود من الزمن باعتبارها مدارس الكفار و تحارب هويتهم الثقافية، وبالمقاومة المسلحة في أحيان كثيرة، وفي ظل تشديد الخناق على الثقافة الجزائرية بدأت تلوح في الأفق بوادر العمل الثقافي التي قادها محمد بن رحال وبن سماية وبن موهوب، ومع مطلع القرن 20 م برزت جمعيات ونوادي ثقافية،وأعلام وشخصيات وأحزاب اهتمت بالتوعية والإرشاد الديني والإصلاحي، على غرار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي قادها الشيخ عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي ومالك بن نبي وغيرهم.

Résumé :

Cet article analyse la résistance algérienne à la culture des Français occupés depuis 1830, pour faire face à franciser Algérie par les Français, qui inclut la lutte contre la religion islamique et de l'histoire de l'Algérie, et la séparation de l'Algérie des pays arabes et islamiques, les Algériens ont résisté à ce projet par tous les moyens et méthodes, à commencer par la défense islamique leur culture arabe enseignée dans mosquées, et le district des écoles françaises depuis des décennies que les écoles chrétiennes et la lutte contre leur identité culturelle, et la résistance armée dans de nombreux cas, sous un contrôle plus serré sur la culture algérienne émergé travail culturel, dirigé par Mohammed bin Rahal Ben

Smaah, et avec le début du 20e siècle, les associations et les clubs culturels ont émergé, des drapeaux et des personnalités et les parties concernées par la sensibilisation et la réforme religieuse et l'extension, comme l'Association algérienne musulmane chercheurs, dirigée par Cheikh Abdelhamid Ben Badis et Bachir Ibrahimi et Malik bin Nabi et d'autres.

مقدمة:

لم يكن الاحتلال الفرنسي للجزائر يهدف وفقط لغايات اقتصادية، بل تعد ذلك لمشروع استعماري متكامل في إطار ما عرف بهيمنة الغرب على الشرق، والذي مثلت الجزائر الحلقة الأولى منه، فكانت الثقافة والهوية هما محور الصراع، في إطار ما حمله الفرنسيون معهم من سياسة محووإقصاء الثقافة الوطنية الجزائرية، وإحلال المشروع الثقافي الاستعماري المتعدد الأشكال والأهداف والبرامج الثقافية، لكن فترة أزيد من قرن وثلث قرن من الاحتلال الفرنسي جعلت الثقافة الجزائرية تخبو وتهون وتتأثر كثيرا بفعل الهيمنة الاستعمارية، فهل استسلم الجزائريون لمحاولة الاحتواء الثقافي الفرنسي ؟ ما هي تجليات المقاومة الثقافية الوطنية ؟ وكيف انعكس ذلك على المجابهات الثقافية بين الطرفين ؟

جوانب من مقاطعة الثقافة الفرنسية:

لم يتوان الجزائريون في مناهضة المخططات الاستعمارية لاسيما الثقافية، بصلابة منذ نزول المحتل أرض الجزائر، ويمكن أن نستحضر الصور المعبرة عن البطولات والأمجاد في التصدي للفرنسيين، لكن التقيد بمضمون البحث يفرض الاقتصار على الجانب الحضاري من المعركة التي دارت بين ثقافة جزائرية أصلية، وثقافة غازية أجنبية دخيلة، فقد كان نفور الجزائريين واشمئزازهم من الأجنبي يزداد تبعا لتزايد السياسة الاستبدادية الاستعمارية، عبر عنها حمدان خوجة بقوله[1]:"تلك الأفكار السوداء التي كونها عن الطبع الفرنسي، والتي لم يكن يعرفها من قبل، و هي اليوم من سوء الحظ، تزداد تفشيا في أعماق قلوب الأهالي "،ويعود هذا الغل المكتسب دائما حسب حمدان خوجة إلى عوامل نحصرها في:

- اختلاف الديانة، كون سكان الجزائر يعتبرون أن الفرنسيين لا يقاومون إلا بالتعصب الديني.
- الشعور بالاعتداء من قبل أمة أجنبية، استعملت القوة والتحايل.
- خشية المآل إلى الفاقة نتيجة اغتصاب أملاكهم[2].

1- محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:1973،ص153.
2- المرجع نفسه، ص ص 154- 153.

أمام هذا وجد الجزائريون أنفسهم بحكم تمسكهم بهويتهم الوطنية، بما تحويه من قيم وثقافة مجبرين على مقاطعة الثقافة الفرنسة، في جميع مظاهرها والمحافظة على الثقافة العربية الإسلامية ونصاعتها، حتى في أيام الثورات، فهذا الأمير عبد القادر لا تنسيه حروبه ضد الفرنسيين عن القيام بواجب التعليم حيث يقول[1]:" واجبي كحاكم مسلم أن أؤيد وأبعث العلوم والدين، لذلك فتحت المدارس في المدن، وبين القبائل، وفي هذه المدارس كان الأطفال يتعلمون الصلوات، ويحفظون تعاليم القرآن، وفروضه، ويعرفون جيدا القراءة والكتابة ".

وإذا كان الفرنسيون ملكوا الأرض وألحقوها بفرنسا، فإنهم لم يملكوا العقول والقلوب التي ظلت تمتلئ حقدا، وتبحث عن فرصة للانتقام، فانتصارهم العسكري لا يعني إخضاع النفوس، وفشلوا في تحويل شعور الجزائريين، إلى فرنسي مسيحي يكون مساويا لهويتهم وثقافتهم.

الحق أن رد فعل الجزائريين على هذه السياسة كان حاسما في شكل صراع حاد و مستمر" بدأ يوم بدأ المحتل يفرض لسانه، وتفكيره، وأسلوبه في الحياة، مستعملا المدرسة، والمستشفى، المعلم والطبيب "،لقد كان العقدين الأولين من الاحتلال محل مجابهة بين الطرفين، ينشئ المستعمر مدارس فلا يتردد عليها التلاميذ، يقيم المستشفيات فلا يتردد عليها المرضى، فوجد صعوبات جمة في ذلك[2]، لقد كان الجهل وراء مغامرة خاضوها لم يدركوا من قبل حسابا ما لهذا الشعب من تراكم حضاري عريق، وراحوا يفسرون فشلهم الذريع بعدم معرفتهم بالجغرافيا والمناخ [3].

وهكذا تبدو شدة المقاومة التي أبداها الجزائريون في الفترة الأولى التي حسب " Turin " تزعمتها "الزوايا والطرق الدينية" التي لعبت دورا أساسيا في المعركة،من خلال حشد الجزائريين حولها، وساهمت في تعليمهم، وتأليبهم ضد المدارس الفرنسية كي يرفضوا ارتيادها، فلما حول الفرنسيون إيجاد إجابة عن عوامل عزوف أبناء الأهالي دخول مدارسهم قالوا أن[4]:" المدرسين المكلفين بتعليم الأطفال كانوا متعصبين وجهلة، وعندهم كانت تظهر معارضة لوجهات نظرنا ... وتكمن خطورة مقاومتهم لنا في أنهم يشرفون على تربية جيل جديد، ومن هنا يجب أن يخضع كل المدرسين لرقابة شديدة ".

1- شارل هنري تشرشل : حياة الأمير عبد القادر، ط2، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1982، ص 152.

2 - Turin Yvonne : Yvonne Turin : Affrontements culturel dans l'Algérie coloniale « écoles, médecines, religion 1830-1900 », E.N.AL, 2 émé édition, Alger, 1938 .p35

3- ايفون تورين: الأشكال الرئيسية للمقاومة في الجزائر إبان القرن 19، الملتقى السادس للفكر الإسلامي، م1، الجزائر 1972، ص253.

4 -Turin Yvonne : op-cit.p218.

ويجدر التذكير أن المدارس التي أنشأها الفرنسيون عدت عند الأهالي مدارس الكافر وسموها مدارس الشيطان وبأسماء لعينة، فازداد الجزائريون صمودا وتهافتا على ثقافتهم العربية الإسلامية، وإلى حد كبير هناك توافق بين موقف "Turin " و"Colonna" حول رفض الجزائريين للثقافة الفرنسية، تقول "Colonna" أن عدد الجزائريين الذين دخلوا المدارس الفرنسية كان في تقلص بنسب ملحوظة، انخفض في قسنطينة بحوالي 32 %، و25 % في وهران[1]، ولاحظت أن المراكز التي يكثر بها عدد الزوايا والمؤسسات التعليمية الحرة، يقل فيها إقبال الأهالي على التعليم الفرنسي، ولم تقتصر المقاومة في التعليم فقط بقدر ما أنها اتخذت أشكالا مختلفة فمنهم من عبر عنها بالسلاح، الذي لم يضعه حتى استشهاده ومنهم من اتخذ المقاطعة أو ما يعرف بـ " المقاومة السلبية "خاصة في الأرياف حيث قاطع السكان ثقافة فرنسا" واعتبروها كفرا بسيئاتها وحسناتها " دون تراجع في موقفهم منها التي أصبحت مسلمة بها عندهم[2].

الواقع أن المقاومة والمقاطعة التي أبداها الأهالي، لا يمكن القول من خلالها أن الثقافة الجزائرية بقيت بعيدة عن تأثير ثقافة العدو، لأنها مع مرور الوقت أصابتها صدمة الاحتلال التي ما فتئت تتطور، حتى أصابتها في صميمها، فإن لم تمت فإنها توقفت عن النماء لا سيما بعد خصوبتها وانتعاشها في عهد سابق، فبعد سبعين سنة من الاحتلال حدث " الجفاف الثقافي" والقطيعة التي حاول الاستعمار فرضها على التراث الإسلامي، ويمكن إضافة التدهور الاقتصادي وسوء الحالة الاجتماعية جعلا منحنى الثقافة يشهد التراجع[3].

وهكذا بدأت المقاومة الصامتة والعلنية التي تبناها الجزائريون تضعف، فالذين كانوا يرفضون في السابق إرسال أبنائهم إلى المدارس نلاحظ أن هذا الرفض بدأ يتضاءل، يمكن أن نلمس هذا في قول أحد سكان منطقة القبائل للفرنسيين" اليوم أنتم أسيادا، فإن أمرتمونا بإرسال أبناءنا إلى المدرسة فإننا سنفعل ذلك"[4].

لقد اتضح لهم مدى أهمية التعليم في حياتهم اليومية، كأداة تعامل مع الفرنسيين، ووسيلة للحصول على عمل يكسبون به رغيف يومهم، وحتى وإن استمرت بعض المقاومات في الأرياف فإن المدن عرفت إقبال

---

1 -Fanny – Colonna : op-cit, p p 27 -28.

2- محمد الطيب العلوي: التربية بين الأصالة والتغريب، منشورات دحلب، الجزائر: دون تاريخ، ص 02.

3- الجمعي خمري :حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930) دراسة تاريخية وسياسية مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف، جامعة قسنطينة، 2002-2003 ، ص179.

4 - الجمعي خمري : مرجع سابق، ص180.

* - هو وجه سياسي وثقافي كبير خلال المرحلة التي سبقت تكوين الحركة الوطنية في الجزائر ، ولد في ندرومة نواحي تلمسان ستة 1857، رغم تعلمه في المدرسة الفرنسية إلا أنه دافع عن الثقافة العربية الإسلامية، أنظر : عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث دراسة سسيولوجية، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر : مرجع سابق، ص95.

الأهالي على المدارس الفرنسية بنسب متزايدة فقد أدركوا قيمته لاسيما أنهم ميزوا بين فرنسا كاستعمار، وثقافتها كحضارة وتمدن.

ولهذا الأسباب وغيرها شرع الأعيان في رفع عرائض واحتجاجات تدعوا إلى التعليم حتى وإن كان فرنسيا مادام أن الهدف هو محاربة الجهل الذي استفحل أمره، وفي خضم ذلك برزت مطالب رفعها النواب الممثلين في المجالس، نذكر منهم"محمد بن رحال" [*]، الذي دافع عن التعليم الفرنسي والثقافة العربية الإسلامية التي لا تتعارض مع الثقافة الفرنسية وقد كانت له اتصالات مع مسئولين فرنسيين نذكر منهم لجنة 1891م المشكلة للنظر في قضية التعليم الأهلي، وقد لخص الوضع في قوله [1]:"إن التعليم الإسلامي لا يوجد في الجزائر ماعدا في حالته الابتدائية في الزوايا والمساجد، وفي حالته التمهيدية في مدارس تلمسان، قسنطينة والجزائر".

وللنهوض بالوضع اقترح بن رحال مشروعا من ثماني نقاط نذكر:

- إعادة تنظيم المدارس الإسلامية.

— رفع عدد التلاميذ بضعفين أو ثلاثة أضعاف.

— زيادة عدد المدرسين واختيارهم وتعيين معلمين فرنسيين ذوي الخبرة وتلي هذه الإجراءات بناء مدارس بسيطة في وسط كل قرية حتى يتمكن الجميع من الالتحاق بها، لكن مساعيه فشلت لمعارضة الكولون لها[2].

ومع ظهور بوادر العمل السياسي والثقافي نشطت الجمعيات والنوادي الثقافية، وأولت ميدان التعليم العناية الفائقة مثل الجمعية التوفيقية والراشدية ونادي صالح باي، و كلها كانت تخصص له شطرا كبيرا من نشاطاتها للجنسين معا، لاسيما نادي الترقي الذي كان أهم مؤسسة ثقافية بارزة خلال أوائل القرن العشرين و الذي زاد من صيته نشاط الشيخ الطيب العقبي [3].

تزايدت المطالب التعليمية أكثر بظهور الفتيان الجزائريين المتشبعين بالثقافة الفرنسية وحضارتها و أكدوا على إلزامية التعليم وضرورته للجزائريين بهدف إخراجهم من الجهل المتفشي و المستفحل، فهذا أحد روادهم وهو فرحات عباس يصرح بقوله [4]:" أن التعليم يجعل منا رجالا قادرين على فتح بيوت وتربية أولادنا تربية سليمة، كما يسمح لنسائنا بتربية الأبناء بالوسائل العصرية، كما أن ذات التعليم يعمل على إخراجنا من العصبية و الجمود للحاق بالأمم المتقدمة ".

1- عبد القادر جغلول: مرجع سابق، ص92.

2- المرجع نفسه ص90.

3- الجمعي خمري: مرجع سابق، ص ص181 – 182.

4- المرجع نفسه، ص179.

وبعد الحرب العالمية الأولى برزت على الساحة السياسية والثقافية النخبة المثقفة، في شكل قطبين متزامنين، قطب ناطق بالفرنسية والآخر بالعربية، يحاول كل واحد منهما على تحقيق رغبات الشعب وتلبية مطالبه، ولعل أول من برز وهو يجمع بين الثقافتين" الأمير خالد" الذي لم تمنعه ثقافته الفرنسية من التمسك بالثقافة الوطنية قدمها في شكل مطالب إلى الرئيس الفرنسي مما جاء فيها " تطبيق قانون التعليم الإجباري تطبيقا شاملا على الجزائريين مع الاحتفاظ بحرية الاختيار في نوع التعليم"[1].

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والدفاع الهوية الوطنية:

ويجدر بنا الذكر أن فترة العشرينات من القرن العشرين هي بداية مرحلة جديدة من المقاومة الثقافية، فبعد صمود الزوايا والمساجد و بعض الكتاتيب، ظهرت مرحلة جديدة قادتها كما أشرنا نخبتين العربية والفرنسية، فالأولى قادها العلماء المسلمين الذين هيكلوا أنفسهم ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست عقب احتفالات ذكرى مرور قرن من الاحتلال الفرنسي للجزائر، يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس[2]:" من المعلوم أن الأمة الجزائرية هبت بعد مرور قرن من الاحتلال لتأخذ قسطا من الحياة، من نواحي عديدة، وخصوصا الناحية الدينية والعلمية".

و هذه الاحتفالات أثارت سخط الجزائريين بحدة، ومن ناحية أخرى حفزت فيهم الهمة لاستغلال الظرف والشروع في بعث الأمة وإرساء مشروع ثقافي وطني يرد على أوهام المؤرخين الفرنسيين الذين أنكرا ذاتية وهوية الجزائري[3]، فقد بدأت تبرز أولى الكتابات التاريخية الوطنية توضح وجود الدولة والوطن منذ العصور القديمة، وأكدت تاريخ الجزائر، وأبرزت بطولات زعمائه عبر التاريخ، وكان الرعيل الأول منهم نذكر الشيخ مبارك الميلي، أحمد توفيق المدني، علي دبوز، وعبد الرحمان الجيلالي، فرغم ضعفها في منهجها العلمي والتاريخي إلا أنها تحتوي على رسالة وطنية وتربوية وتاريخية[4].

لقد شرعت جمعية العلماء في أداء عملها الإصلاحي وفق شعارها " الإسلام ديننا والعربية لغتنا، والجزائر وطننا " فقد ضحى قادتها بنعيم الحياة وزخرفها، مسخرين طاقاتهم في الوعظ والإرشاد مدافعين عن القيم الجزائرية التي تشكل هوية الجزائري وشخصيته، فكانت محاور برنامجها:

1- عبد الرحمان بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص79.

2- محمد الطيب العلوي: مرجع سابق، ص 120 .

3- عبد الكريم بو الصفصاف: جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1981، ص85.

4 - ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص32.

– الإسلام الذي يجب العمل على إصلاح عقائده وصد العدوان عن معابده وأوقافه.

– إحياء العربية في آدابها وتاريخها.

– التمسك بالوطنية الجامعة بين الإسلام والعربية.

وسعيا منها بلوغ هذه الغاية، خاضت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حربا مكشوفة على الاستعمار، وضد سياسته في محاربة الإسلام والفرنسة والتجهيل، وبصفة عامة محاربة التغريب الثقافي بإتباع أساليب ووسائل ذكية، فكانت لها منذ البداية مواقف صريحة إزاء ذلك، نجسدها في أوضح مثال عبر عنه عبد الحميد بن باديس بقوله[1]:"قد فهمنا والله ما يراد بنا، أننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا ولن يصدنا،عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا ".

تعكس هذه التصريحات عمق رسوخ العمل الإصلاحي و الثقافي في نفوس العلماء، الذين عكفوا برسالة النهوض بالجزائر التي بدأت تشهد صحوة لم تعرفها منذ زمن ،فأيقظت الجزائريين من السبات ودفعت الأمة إلى حفظ تراثها من المسخ والتحريف[2]، كل هذا بتنظيمات ووسائل جندتها لنشر فكرتها من مدارس، وصح، ونوادي ثقافية ومساجد[3] وكان أهم ميدان ركزت جمعية العلماء عليه جهودها هو ميدان التربية والتعليم، كونه وسيلة تثقيف وتوعية دينية ووطنية في جميع الفئات صغارا وكبارا إناثا وذكورا، و رغم الصعوبات والعراقيل فقد كانت مدارسها تناهز 150 مدرسة، يقارب عدد من يرتادها 50 ألف من البنين والبنات، وقد كلل عملها الدؤوب بتأسيس معهد عبد الحميد بن باديس[4].

الواقع أنه إلى جانب عمل جمعية العلماء الرائد، سار إلى جنبه نشاط قامت به بعـــض الأحزاب و و الجمعيات الأخرى، كحزب نجم شمال إفريقيا الذي طالب في برنامجه السياسي بوجوب" فرض التعليم الإجباري باللغة العربية، وفي فسح المجال لدخول المدارس على جميع المستويات"، وتأكد هذا ميدانيا في إقامة 17 مدرسة موزعة في أنحاء الجزائر [5].

1– محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 151 – 152.

2 – محمد الصالح رمضان: "جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي"، مجلة الثقافة، ع 85 الممتاز، الجزائر، 1984، ص359.

3– عبد الكريم بوالصفصاف: مرجع سابق، ص125.

4– محمد الصالح رمضان: مرجع سابق، ص ص 364 – 367.

5 – رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص 250– 251 .

وقد سار حزب الشعب على مساره فنجده سنة 1938 يطالب بإصدار مرسوم، يجعل اللغة العربية على غرار ما هي في تونس إجبارية، تعلم في جميع مراحل التعليم حتى في التعليم العالي من خلال تأسيس كلية الآداب تدرس التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع بها وإحداث جامعة إسلامية[1].

وفي هذا السياق تضاف جهود النخبة المفرنسة حيث حظي التعليم بأولوية في برنامجها نورد منها على سبيل المثال "جمعية أصدقاء التعليم" في جيجل، التي ظهرت سنة 1934م تعمل على نشر التعليم وتشجيعه، واستقطبت دعما شبابيا كبيرا[2].

ومن هنا يمكن أن نقول أن التعليم كان قاسما مشتركا بين مختلف تيارات الحركة الوطنية التي ظلت تناضل وتمارس ضغطها المتواصل، حتى وصلت سنة 1947م من إرغام الفرنسيين على الاعتراف باللغة العربية في قانون الجزائر الذي جاء فيه" اللغة الفرنسية والعربية تعتبران لغتين رسميتين بدرجة واحدة، وتعلمان بدرجة واحدة، في جميع المستويات"[3].

واستمرت المجابهات بين الطرفين تزداد حتى قامت ثورة أول نوفمبر 1954م، التي مثلت أوج الصراع الثقافي و الحضاري بين الجزائر وفرنسا، والهادفة إلى استعادة الشخصية المسلوبة في قيمها وذاتيتها، فكان العمل الثقافي يساير الكفاح المسلح، وسار جنبا إلى جنب، حيث انتشر التعليم وعملية محو الأمية، ورغم الأوضاع القاسية فإن جبهة التحرير الوطني لم ينسيها الاهتمام العسكري العناية بالتعليم داخليا وخارجيا، فقد تكفلت بتعليم أبناء القرى والمداشر بإنشاء مدارس التعليم العربي، جاعلة إياها معاقل للكفاح تتصدى لسياسة فرنسا ومحاولتها احتواء الثورة الجزائرية، وقد أعطى مؤتمر الصومام سنة 1956م دفعا قويا للتعليم، لاسيما أنه قد صدرت عنه قرارات حاسمة، تتعلق بهذا الجانب حيث انبثقت عنه لجنة تتكفل بالتعليم من
حيث تعيين المعلمين وإعداد البرامج المدرسية وتسديد الرواتب[4].

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 250- 251.
2- عبد الرحيم سكفالي: " أصدقاء التربية، المؤسسة الخيرية لنشر التعليم (1934 – 1940)، مجلة الحوار الفكري، ع5، 2003، ص 169.
3- عبد الرحمان بن العقون: المصدر السابق، ج2، ص 477.
4- عائشة بو الثريد: التعليم العربي الحر في الجزائر ومؤسساته من سنة 1947 إلى سنة 1962 قسنطينة نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف، جامعة متنوري قسنطينة .2004-2005 ، ص ص 208- 209

لقد ساهمت هذه العوامل في نشره حيث وصل إلى السجون والمعتقلات التي تحولت إلى مدارس،يذكر أن معتقل البرواقية كان يضم خمسة أقسام، وفي سجن الحراش عشرة أقسام[1]، وفي مناطق تركز جيش التحرير أنشأت العشرات من المدارس بلغت سنة 1957م حوالي 40 مدرسة.

وفي الخارج تولت الثورة الجزائرية تعليم الطلاب الجزائريين في مختلف البلاد العربية خاصة لما أنشئت وزارة الشؤون الثقافية في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1958م، التي كانت ترعاهم ماديا ومعنويا، وتم تكوين فئة معربة في الجامعات المشرقي، وفي تونس والمغرب بلغ عدد طلابها موسم 1959- 1960م حوالي 1369 طالبا يضاف لهم العدد الهائل في جامعات فرنسا المقدر بـ 1230 طالب، في مختلف بلدان أوربا وأمريكا وآسيا [2].

إن هذه المعطيات تؤكد إسهامات الثورة الجزائرية في إقامة نظام تعليمي بشكل يفوق ما كونته فرنسا طيلة الاحتلال منذ سنة 1830، يقول فرحات عباس في خطابه أمام الطلبة سنة 1960[3]:"كونت الثورة الجزائرية من بينكم عددا من التقنيين في ظرف ستة سنوات فاق بكثير تلك الأعداد التي كونها المستعمر منذ 130 سنة مرت من احتلاله للوطن.

لعل هذا ما يوضح إصرار الثورة الجزائرية منذ اندلاعها قيادة وشعبا على مقاومة المستعمر الفرنسي، فكانت خلالها القضايا الثقافية تعالج في كل مستوياتها وينظر إليها على أنها إحدى مهام الثورة الأساسية التي قامت من أجل تحرير الأرض والفكر معا، و لذلك أنشئت في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وزارة تعنى بشؤون الثقافة و التعليم.

خاتمـــة:

من خلال ما سبق ذكره نستخلص استمرار المقاومة الثقافية الجزائرية،و التي تعددت أنماطها والهدف واحد هو صد المشروع الثقافي الاستعماري، فكان الجزائريون أكثر عنادا، وأصلبهم عودا وأشدهم تمسكا بشخصيتهم الوطنية التاريخية العريقة، من دين و لغة و تاريخ.

1- محمد الطيب العلوي: مرجع سابق، ص186.

2- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، مرجع سابق، ص 466 .

3- عمار هلال: نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954، نشر لا موفيك ، الجزائر، ص ص 22- 23.

لكن في الواقع لا يمكن أن ننفي عدم التضرر الثقافة الجزائرية طيلة الاستعمار بأساليبه القمعية التي أصابتها في روحها ز مضمونها و كادت أن تفقد خلالها قيمها ومقوماتها كونها كانت هدفا استراتجيا – تتبعنا خطوطه العريضة خلال هذا الفصل – الرامي إلى تقويض وتمزيق وحدتها، وتناول دراسة كيانها الحضاري بالتشويه والمسخ من تزييف للتاريخ ومحاربتهم للغة والعقيدة، وكل القيم في رسالة حاولت المدرسة الفرنسية أن تؤديها لتذويب المجتمع الجزائري.

ويجدر بنا أن نؤكد بصعوبة المواجهة المؤلمة طيلة فترة 1830 – 1962 م التي اتسمت بصراع حضاري طويل، أنهك الطرفين فلا فرنسا نجحت إلى حد كبير في أداء مهامها المرسومة، ولا الجزائر حافظت على كامل خصوصياتها الثقافية المحضة، و التي أصابها الجمود والتراجع رغم محاولات النهوض بها عقب كل إجراء استعماري يطبق ضدها، مما جعل فترة بعد الاستقلال تكون محل شد و جذب بين أنصار الثقافة الفرنسية، و دعاة استعادة الثقافة الوطنية مكانتها و وضعها الطبيعي في الجزائر.